المحاضرة الحادية عشر:المسرح الملحمي والأسطوري.

1-المسرح الملحمي:

1-1-تعريف الملحمة:

الملحمة نوع سردي قديم كان يكتب على شكل قصيدة مطولة يحكي بطولات شعب من الشعوب وقد اختلفت التعاريف حولها فهي" الواقعة العظيمة،وقيل موضع القتال، وألحمتُ القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحمًا ... والملحمة :الحربُ ذات القتل الشديد، والواقعة العظيمة في الفتنة"، أمّا في الاصطلاح فقد عرّفها النقاد بأنها" قصة شعرية طويلة موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوّئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم، ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا، إذ تحكي على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال ...وعنصر القصة واضح في الملحمة، فالحوادث تتوالى متماشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث، ولكل ملحمة أصل تاريخي صدرت عنه .

وقد قسم النقد الملحمة بحسب نوعها إلى قسمين كبيرين هما:

_الملحمة الكلاسيكية :تجسّدها الملاحم العالمية المعروفة وهي" جلجامش والأوديسا والإلياذة."

-**الملحمة الحديثة** :وتمثلت في" إلياذة فرجيل "و"الكوميديا الإلهية "عند" دانتي." وتأسست الملاحم الحديثة على النوع الأوّل" الكلاسيكية "مع بعض الاختلافات في المضامين لتبقى بذلك البطولة والتضحية والمغامرة أصل العمل الملحمي وركيزته.

1-2-خصائصها:

_قصة منظومة طويلة.

_موضوعاتها متشعبة ومتنوّعة ومرتبطة بشعوبها.

_أهدافها قيمية أخلاقية.

_تتميز بالمبالغة في تقديس ورسم أبطالها.

_تبنى على الخوارق والعلائق بين الإنسان والآلهة.

_الدفقة السردية العالية والتماسك بين وحداتها.

2-المسرح الأسطوري:

2-1- تعريف الأسطورة:

عرّفت الأسطورة بأنها" مزيج من كل شيء في كل شيء، فهي حكاية خالصة وهي حكاية مستوحاة من حوادث التاريخ وهي قصة سردية وهي تاريخ الآلهة، وهي تاريخ الأبطال وهي تاريخ الأجداد، وهي سيرة حيوانات، ولهذا فقد ارتبطت الأسطورة بكل ما هو غيبي وغير حقيقي وغير ممكن الحدوث.

وقد أطلق الإغريق على هذا النوع من الحكايات التي تتلبّسها الخوارق كلمة **Mythos** ومعناها كلمة أسطورة" الكلم، وتفسيراتها كثيرة تدور أساسا حول الأمور المُبَالغِ فيها والتي قد تصل إلى حدّ المعجزات وهي تمثل محاولة تفسير يقوم بها الإنسان لأسرار لا يفهمها مُضفِيا عليه قيمة دينية واضحة، فأساطير البشر تجسد القوى غير المفهومة في شكل آلهة وكائنات خارقة مصبوغة بصبغة قدسية محضة"

2-2-خصائصها:

-القول المصاحب للعبادات والقوس قديما.

-المأثور العقدي والديني الجماعي الشعبي المرتبط بأمم خلت يجمع نصها بين ما هو خيالي وواقعي تجمع على صفوف المعرفة والقيم والأخلاق والمعاملات فهي تروي تاريخا مقدسا تروي حدثا جرى في الزمن الأول، الزمن الخالي، الزمن العجيب للبدايات.

-تقوم على ثنائية الصراع بين الخير والشر، مجهولة المؤلف، هدفها تعليل الظواهر المعجزة للعقل...

3-البعد الملحمي والأسطوري في المسرح العربي:

كان للكاتب" يوسف إدريس "السبق في كتابة المسرح الملحمي من خلال مسرحيته المعروفة "**الغرافير**" "حيث وظف فيها التراث والروح الشعبية الساخرة وقد قام بدمج خشبة المسرح بصالة المتفرجين ساعيًا بهذا إلى تحقيق وحدة إدماج ومشاركة بين الممثلين والجمهور، وذلك بإشراك الجميع في حفل رقص وغناء مشترك حتى تصل الجماعة إلى الحدّ الأدنى من الانسجام والنشوة"، والملاحظ في هذا السياق أن" يوسف إدريس "لم يستطع التخلّص من عباءة المسرح الملحمي الغربي وظل ينهل منه رغم محاولاته في الثورة على بعض موضوعاته وبذله لجهود فنيّة معتبرة لإضفاء الطابع العربي عليه، ولكن ذلك كان صعبًا للغاية لأنّ الروافد واحدة وهي الملاحم الغربية، وليس من السهل التخلص من عبء "الأسطرة "الأوروبية لأنّ الفن في أصله غربي بامتياز، فأن يكون الرافد أوروبيا بمضانّه وتشكّلاته ومشاربه، فإنه ليس من اليسير إخراجه من حمولاته الثقافية والتاريخية والعقدية وإلباسِه لَبُوسًا عربيًا مختلفًا عنه في كل تلك الخصائص والحمولات.

أمَّا" توفيق حكيم "فقد دعَا بصريح العبارة إلى ضرورة الاستفادة من جهود السابقين إذ يقول: "إنّ مجرّد نقل الأدب التمثيلي الإغريقي إلى اللغة العربية لا يوصلنا إلى إقرار أدبي تمثيلي عربي ...وما الترجمة إلاّ آلة يجب أن تحملنا غاية أبعد من هذه الغاية هي الاغتراف من المنبع ثمّ إساغته وهضمه وتمثيله لنخرجه للناس مرّة أخرى مصبوغًا بلون تفكيرنا مطبوعًا بطبائع عقائدنا ...هكذا فعل فلاسفة العرب عندما تناولوا آثار" أفلاطون "و"أرسطو"، وكذلك يجب أن نفعل التراجيديا اليونانية، نتوفر على دراستها بصبر وجدّ، ثم ننظر إليها بعدئذ بعيون عربية.

ومجمل القول إن المسرح العربي قد مرّ بتجارب كثيرة ومختلفة، بعضها استلهم النماذج الأوروبية دون محاولة منه للخروج من عباءة الغرب، والبعض الآخر حاول تعريب التجارب الغربية ونجح إلى حدّ بعيد رغم بعض السقطات والعثرات.

المراجع:

فوزية بوالقنادل: محاضرات في مادة السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، السنة الثالثة، دراسات أدبية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة 2025/2024.